المجلـــد (١)، العـــدد (٢)، ينـايـر ٢٠١٤، ص ص ٣٠٣ - ٣٠٦

عـــرض كتـــاب

مدخل إلى اضطراب التوحد

النظرية والتشخيص وأساليب الرعاية

تـأليف
أ.د/ عـادل عبـدالله محمـد

عنوان الكتاب:
مدخل إلى اضطراب التوحد - النظرية والتشخيص وأساليب الرعاية
اسم المؤلف: أ.د/ عادل عبدالله محمد(*)
سنة الإصدار: ٢٠١٤
عدد الصفحات : ٤٠٠ صفحة
دار الإصدار: الدار المصرية اللبنانية – القاهرة
ملخص الكتاب:

شهدت الساحة العلمية منذ النصف الأول من القرن الماضي اكتشاف أحد أهم الاضطرابات النمائية التي أثارت العديد من الجدل على كافة المستويات منذ اليوم الأول لاكتشافه هو اضطراب التوحد حيث اعتبروه فصاماً، ثم اعتبروه اضطراباً سلوكياً، وأخيراً تمت النظرة إليه على أنه اضطراب نمائي عام أو منتشر يؤثر سلباً على العديد من جوانب النمو بالنسبة للطفل ما لم يشمل ذلك التأثير كل هذه الجوانب. وواكب ذلك ظهور نظريات سببية مبكرة تبحث عن أسباب الاضطراب وذلك في إطار تشخيصه فوصل الأمر إلى أن نسمع أن الوالدين هما السبب في تعرض الطفل لذلك الاضطراب وخاصة الأم نتيجة لبرودها الانفعالي. وجاءت النظريات السببية المعاصرة لتتعارض في بعض الأحيان أو تتناقض في أحيان أخرى، فلم تصل في نهاية المطاف حتى الآن إلى سبب محدد يمكن أن تجعلنا نعول عليه في حدوث الاضطراب. وتوالت مقاييس التشخيص والتقييم، وتعددت برامج التدخل وتنوعت حتى في توجهاتها، ولم يتوفر لدينا من الأخصائيين من يمكنه أن يتحمل تبعاتها أو من نعده قادراً على تنفيذها الصحيح والفعال في أغلب الأحيان. وازدادت الكتابات من الناحية الكمية في المقام الأول، وظهرت الهجمة الشرسة للمصطلحات التي تعبر عن ذلك الاضطراب وخاصة المصطلحات العربية على الرغم من أنها لا تعبر عنه، بل إن بعضها يتعارض معه، ولن نبالغ إذا ما قلنا إن بعضها الآخر إنما يتناقض تماماً مع طبيعة الاضطراب. ثم

(*) أستاذ التربية الخاصة – جامعة الزقازيق، عضو اللجنة العلمية لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بجمهورية مصر العربية، مدير المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية - سابقاً - بجمهورية مصر العربية، عضو الهيئة الاستشارية بالمجلة.

صدر القرار الوزاري رقم ٢٦٤ في ٢٠١١/٧/١١ ليتضمن في بعض بنوده أن يتم الدمج الشامل للأطفال ذوي اضطراب التوحد في مدارس التعليم العام دون أن ندري ما إذا كان من الممكن أن يحدث ذلك أم لا، وكيف يكون له أن يحدث، وهل المطلوب هو مجرد وضع هؤلاء الأطفال في المدرسة مع أقرانهم غير المعاقين، وإذا كان الأمر كذلك فكيف ومتى ولماذا، ومن هو ذلك الشخص الذي يمكنه إدارتهم ومتابعتهم وترويضهم ومساعدتهم على تحقيق الاستفادة من هذا الوضع .

وإذا كان تفعيل الدمج الشامل لهؤلاء الأطفال في مدارس التعليم العام يعد في واقع الأمر أمراً هاماً ومفيداً فإننا يجب أن نراعي شروطه ومتطلباته حتى يصبح من شأنه أن يسهم في تعديل سلوكهم، وإعداد وتقديم برامج التدخل المناسبة الخاصة بهم والتي تساعدهم على اكتساب العديد من السلوكيات، والمهارات، والتفاعل والتواصل مع الآخرين، واختيار المهن التي تبرز جوانب قوتهم إلى حدها الأقصى وتختفي معها نواحي ضعفهم أو تصل إلى حدها الأدنى، وتدريبهم عليها، وتأهيلهم على القيام بها مما ييسر اندماجهم في المجتمع بعد ذلك فيصبح الدمج الشامل وفقاً لذلك هو الأساس لدمجهم الشامل في المجتمع. ولكن يظل السؤال الأساسي أين ذلك من الأطفال ذوي اضطراب التوحد؟

وعلى أي الأحوال فإن هذا الكتاب يسلط الضوء على اضطراب التوحد حتى نتمكن من فهمه بطريقة صحيحة قد يكون من شأنها أن تساعدنا أو تدفعنا إلى أن نسير قدماً في سبيل التعرف الدقيق عليه وتحديده بصورة صريحة، وتشخيصه وفقاً لما يحدث في الدول المتقدمة التي تتمسك بحقوق الأفراد ذوي الإعاقة، وتقدم العون والمساعدة لأسرهم، وتعمل على أن يندمج هؤلاء الأفراد في المجتمع. كما أنها قد تسهم في مساعدتنا على تقييمه بدقة، وإعداد أو اختيار وتنفيذ برامج التدخل المناسبة حتى يصير من شأنها أن تحقق أهدافها. كما أن من شأنه أن يساعد أسر هؤلاء الأفراد على تجاوز المحنة التي يمرون بها ويخبرونها، وأن يتجاوزوا ما يواجهونه من ضغوط نفسية مختلفة حتى يتمكنوا في النهاية من القيام بدورهم المنتظر في رعاية أطفالهم هؤلاء جنباً إلى جنب مع المؤسسات المجتمعية المتعددة التي تقدم لهم الخدمات المختلفة التي يعدون في حاجة ماسة إليها في سبيل إعدادهم الناجح للاندماج في المجتمع لاحقاً.

وشهدت الساحة تعريفات متعددة لهذا الاضطراب لم تغط في معظمها جوانبه العديدة مما دفعنا إلى البحث عن تعريف شامل لاضطراب التوحد من وجهة نظرنا بحيث يغطي تلك الجوانب،

ويعكس صورته الكلية الشاملة بشكل مناسب فكان تعريفنا له الذي نرى فيه أن اضطراب التوحد يعد بمثابة اضطراب نمائي وعصبي معقد، يلحق بالطفل قبل الثالثة من عمره، ويلازمه مدى حياته، ويمكن النظر إليه من جوانب ستة على أنه اضطراب نمائي عام أو منتشر يؤثر سلباً على العديد من جوانب نمو الطفل، ويظهر على هيئة استجابات سلوكية قاصرة وسلبية في الغالب تدفع بالطفل إلى التقوقع حول ذاته. كما يتم النظر إليه أيضاً على أنه إعاقة عقلية، وإعاقة اجتماعية، وعلى أنه إعاقة عقلية اجتماعية متزامنة أي تحدث في ذات الوقت، وكذلك على أنه نمط من أنماط اضطرابات طيف التوحد يتسم بقصور في السلوكيات الاجتماعية، والتواصل، واللعب الرمزي فضلاً عن وجود سلوكيات واهتمامات نمطية وتكرارية ومقيدة، كما أنه يتلازم مرضياً مع اضطراب قصور الانتباه .

وفي هذا الإطار جاء هذا الكتاب ليمثل مرجعاً شاملاً في اضطراب التوحد حيث يتناوله بشكل شامل وذلك على امتداد ثمانية فصول بين طياته يوضح من خلالها جوانبه المتعددة، وطبيعته المعقدة، وما يمكن أن يترتب عليه من آثار سلبية عديدة، ويعرض للنظريات التي تفسره، والأسلوب المتبع في تشخيصه وتقييمه، والتلازمات المرضية التي قد تنشأ بينه وبين الحالات الأخرى، وأساليب التدخل والرعاية التي يمكن أن نلجأ إليها كي نتمكن من تعديل سلوك الأطفال ذوي هذا الاضطراب، كما يعرض لما يمكن أن تتعرض له أسر هؤلاء الأطفال من ضغوط نفسية يكون من شأنها أن تؤثر على النسق الأسري ككل، ولذلك فهو يتناول أساليب مواجهة مثل هذه الضغوط حتى يمكن للأسرة أن تتخلص من الكثير مما يمكن أن يترتب عليها من آثار سلبية، وأن تساير الموقف بأبعاده المختلفة، وتساعد طفلها ذا اضطراب التوحد على أن يندمج في الأسرة كخطوة أولى يترتب عليها اندماجه في المجتمع بعد ذلك .

وعلى هذا الأساس يتناول الفصل الأول من الكتاب مفهوم اضطراب التوحد وطبيعته، ومن أهم ما يتناوله توضيح أن هذا الاضطراب ليس مرضاً يمكن الإصابة به، والمصطلحات العربية الخاطئة التي شاع استخدامها دون سند علمي صحيح مثل التوحد والاجترار والذاتوية والأوتيزم مع تصويبها. ويتناول الفصل الثاني الصورة الكلية الشاملة لاضطراب التوحد وذلك من المنظور السداسي أو الزوايا الست التي تشكل هذه الصورة. أما الفصل الثالث فيتناول الخصائص المميزة لاضطراب التوحد وفقاً لما يعتريها من قصور وذلك في ضوء المحكات الثلاثة التي نحتكم إليها في

سبيل تعيين ذلك القصور وهي التبكير أو الظهور المبكر للأعراض في مقابل ظهورها المتأخر، والخصوصية، والعمومية. ويتناول الفصل الرابع النظريات المفسرة لاضطراب التوحد وذلك وفقاً للتصنيف الذي تنطوي تلك النظريات تحته والذي يصنفها إلى نظريات بيولوجية عصبية، وأخرى سيكولوجية، وثالثة اجتماعية بيئية.

ويعرض الفصل الخامس لتشخيص اضطراب التوحد وتقييمه وذلك وفقاً لما يبديه الطفل من مؤشرات قبل السن الرسمي للتشخيص الذي نحتكم عنده إلى دليلي التشخيص الرئيسيين كمصدر أساسي للتشخيص وهما دليل التصنيف التشخيصي والإحصائي للأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية، والتصنيف الدولي العاشر للأمراض. كما يمكن أن نلجأ إلى الاختبارات والمقاييس لتشخيص وتقييم هذا الاضطراب أيضاً. أما الفصل السادس فيتناول التلازم المرضي بين اضطراب التوحد وبعض الحالات الأخرى والتي تضم متلازمة أعراض داون، والإعاقة الفكرية، والإعاقة السمعية، والإعاقة البصرية، واضطراب قصور أو تشتت الانتباه، واضطراب النشاط الحركي المفرط. ويعرض الفصل السابع لأهم أساليب التدخل المتبعة مع الأطفال ذوي اضطراب التوحد ورعايتهم حتى نتمكن في النهاية من تعديل سلوكهم. ويعرض آخر فصول الكتاب وهو الفصل الثامن للضغوط النفسية التي تقع على أسر الأطفال ذوي اضطراب التوحد وأساليب مواجهتها.